OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

دعائم الحرية ومظاهرها في ضوء الكتاب والسنة

The Pillars of Freedom and its Manifestations in the light of Quran and Sunnah

Dr. Shfaqat Ali al-Baghdadi al-Azhari
Assistant Professor, Minhaj University, Lahore
Dr. Hafiz Muhammad Idrees al-Azhari
Lecturer and Researcher, Maahad Islamic Denmark

Abstract

Islam came with the liberation of man from all restrictions and shackles. Freedom was one of the legitimate purposes and the basic principles established by Islam. There is no way to a real life without freedom, and it's the right of the single and society. With pride, dignity, security and safety, equality, justice, chastity and purity. Islam in its legislation laid the foundations and principles of freedom. It freed man from the captivity of lusts, and from the shackles of ignorance, and freed the mind from materialistic philosophies, destructive sects, and man-made religions and from the forms of freedom that Islam granted to man: freedom of belief, expression, opinion, freedom of speech, Issuing the decision, freedom of litigation and complaint, freedom of movement, and among the manifestations of freedom according to the Holy Prophet ﷺ is the freedom to pardon where forgiveness was dearer to him than punishment. There are lessons of the freedom to pardon when one is able, following the example of the Messenger of Allah Almighty Muhammad ﷺ, as the Prophet, raised the Companions in the highest degrees of freedom, the most sublime of its meanings, and the most informed of its goals.

Keywords: Freedom, purity, litigation, manifestations, sublime

CC BY

مقدمة

لما كانت الأحوال الاعتقادية، والاجتماعية، وحتى السياسية قبل مجيئ الإسلام غير منضبطة، والحريات معطلة، والحقوق مهدرة، والعقول متحجرة، جاء الإسلام بأعظم ثورة عرفتها البشرية، ثورة على الظلم والقهر، ثورة على الباطل والاستبداد، ثورة على الجهل، والضلال، ثورة على الأباطيل والخرافات، جاء الإسلام ليحطم القيود والأغلال التي صنعتها الأساطير والأوهام ليتحرر الإنسان من المذلة والهوان .جاء الإسلام بدعوة التوحيد والعبودية الخالصة لله جل وعلا، جاء بتحرر الإنسان من عبادة الأشجار والأحجار والنيران وغيرها من المخلوقات ونهى ربنا العظيم الانسان عن عبادة الشمس والقمر والسجود لهما بقوله الكريم: ﴿ لا تسْجدوا للشّمْس ولا للْقمر واسْجدوا للّه.....﴾[1]كذلك جاء ليتحرر الإنسان من عبادة الحاكم والأحبار والرهبان وارباباً من دون الله والمسيح ابن المريم وغير ذلك من المعبودين الباطلين لانه امرهم لعبادته وحده بالإخلاص والخشية والخضوع له وقال مصرحا ذلك في قوله الكريم:﴿ وما أمروا إلّا ليعْبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلّا هو .....﴾[2]جاء بتخليص الإنسان من عبودية المال والشهوات و وحب النساء و رغبة البنين و الخيل والانعام والحرث والقناطير من الذهب والفضة، جعل كل ذلك من شهوات الدنيا ومتاعها ولكن الجزاء والثواب والاجر عنده افضل و احسن منه بكثير كما قال: ﴿ذلك متاع الْحياة الدّنْيا واللّه عنْده حسْن الْمآب﴾[3]وعلم واخبر عبده احسن منه وهو التقوى والتحلي بالعبودية ربه الكريموكانت النتيجة الطبيعية لعقيدة الإيمان بخالق الكون والإنسان ثورة الإنسان على كل عبودية باطلة، وكذا ثورته على نفسه ليسيطر على أهوائها، وثورته على الملوك المستبدين من القياصرة والأكاسرة وانتشار الوعي في الشعوب جميعا ذلك الوعي القائم على عادة الله وتعظيمه وحده التعظيم المطلق والنظر إلى جميع الناس، ومنهم كبراء الدنيا وملوكها نظرة لا خضوع فيها ولا خوف"[4].إذ هي العقيدة التي تحرر الإنسان من الأوهام والخرافات، كما تحرره من الخضوع، أو التعظيم لغير خالقه جل وعلا.ولذلك كان القرآن الكريم مداد دعوة الإسلام، ذلك الكتاب الذي يحمل دعائم الحرية ، وينبذ شتى الخرافات، وينشئ عقلية علمية "فالقرآن أعظم كتاب ينشئ العقلية العلمية التي تنبذ الخرافة، وتتمرد على التقليد الأعمى للأجداد والآباء والسادة والكبراء، أو للعوام والدهماء، وترفض الظنون والأهواء في مقام البحث عن الحقائق والأمور اليقينية، ولا تقبل دعوى إلا ببرهان قاطع، من المشاهدة المؤكدة في الحسيات ومن المنطق السليم في العقليات، ومن النقل الموثق في المرويات، ويعتبر القرآن النظر فريضة والتفكير عبادة، والبحث عن الحقيقة قربة، واستخدام أدوات المعرفة شكرا لنعم الله وتعطيلها سبيلا إلى جهنم " [5]. لذلك كان القرآن الكريم رائدا في ترسيخ مبادئ الحرية، ومحاربة كل صور التعدي على حرية الإنسان الدينية، أو الفكرية، أو الأجتماعية.

مفهوم الحرية في اللغة والاصطلاح

أ- الحرية في اللغة: استخدم العرب أصل هذا اللفظ الدلالة على مفاهيم متنوعة منها الحر: وهو الخالص النقي والفاخر العبد، والحر: الخالص النقي، والفاخر من الأشياء، "والحر: كل شيء فاخر جيد من شعر، أو غيره " ...[6]."والحرة: الكريمة. يقال: ناقة حرة، وسحابة حرة: أي كثيرة المطر. ومنها تحرير الرقبة: أي: عتقها"[7] .

والحرة من النساء: الكريمة المصونة العفيفة، كما في سؤال المرأة المتعجبة: وهل ترغبين الحرة في الزنا؟[8]، تعني أن الكريمة المصونة، لا يتصور منها ذلك.

من خلال ما سبق يمكن القول: إن الحرية في الاشتقاق اللغوي تطلق ويراد بها الإنسان الحر غير المقيد بقيود تحجمه عن أداء دوره، النقي الخالص، وكل شيء جديد فاخر، والكريمة المصونة العفيفة من النساء .

ب- الحرية في الاصطلاح: "المكنة العامة التي يقررها الشرع للأفراد، بحيث تجعلهم قادرين على أداء واجباتهم، واستيفاء حقوقهم، واختيار ما يجلب المنفعة لهم ويدرأ المفسدة عنهم، دون إلحاق ضرر بالآخرين"[9].

دعائم الحرية كما أرساها الإسلام

إن الإسلام في تشريعاته أرسى دعائم الحرية ومبادئها، فقد حرر الإنسان من أسر الشهوات، ومن أغلال الجاهليات، وحرر العقل من الفلسفات المادية، والمذاهب الهدامة، والديانات الوضعية التي تقيد العقل وتعطله أو تطلق له العنان بلا ضابط أو ميزان، كما حرر القلب من الهمم الدنية، وطهره من كل الشوائب والأكدار والأهواء، وتجليته من الصدأ والران، وتحرير الجسد من أسر الشهوات وهيمنتها، فالإسلام دعا إلى الحرية بكل ما تشمله من جوانب وروافد؛ إذ الحرية بناء متكامل ولهذا البناء دعائم يقوم من خلالها أذكر منها ما يلي:

الدعامة الأولى: احترام كرامة الإنسان:

كرم الله الإنسان بالعقل والبصيرة الذي يعي كيف يؤدي الأمانة وكيف يحافظ عليها ورزقه من الطيبات والحلال وفضله في خلقه الكثير بالعلم والعقل اصبح بذلك أفضل مخلوق بين المخلوقات جميعها وبين وصرح عنه في قوله العظيم:﴿و لقدْ كرّمْنا بني آدم ....﴾[10]ومن تكريم الله للإنسان أن خلقه بيديه، ونفخ فيه من الروح العظيم،وامر بالسجود للخق النوراني أي الملائكة وجعله على الأرض الواسعة خليفة له، وسأل الملائكة عن خواصه المختلفة من الفساد و السفك اظهر خواصهم من التسبيح والتحميد والتقديس لله تعالى ولكن الله العليم رد عليهم و حيث وضح ذلك في كلامه المجيد: ﴿و إذْ قال ربّك للْملائكة إنّي جاعلٌ في الْأرْض خليفةً..... إنّي أعْلم ما لا تعْلمون﴾[11]وهذا يبين كرامة الإنسان عند خالقه، وتفضيل الحق للإنسان على شتى المخلوقات، إذ إن دعوة الإسلام في حد ذاتها

تقدير للإنسان، وتوجيه أمين للفكر والعقل، وإيقاظ للفطرة والإنسانية السليمة، وبذلك يكمل الإيمان بالاقتناع، ويرتبط المسلم بدينه حبا وولاء وطاعة[12]، إذ الإسلام يحترم كرامة الإنسان وحريته.ومن تكريم الله الكريم للإنسان كذلك تعظيم حرمته، فحرم وجرم التعدي عليه حسيا أو معنويا، وكذا حرم التعدي على ممتلكاته، وعد الاعتداء على نفسه أو ماله أو عرضه جريمة عظيمة، ونهى الرسول عليه السلام عن التحاسد و التباغض والتناجش والتدابر حتى نهانا عن البيع على بيع اخينا وأمرنا ان نسبح اخوانا ومنع الظلم والخذل والحقاره وجعل محل التقوى صدر الانسان بامره اشارته حتى امر الإنسان عدم الحقارة للمسلم كما جاء في صحيح لمسلم و رواه ابو هريرةؓ ، عن الرسولﷺ :"لا تحاسدوا، ولا تناجشوا..... أن يحقر أخاه المسلم.. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه"[13]وفي هذا وغيره تعظيما لكرامة الإنسان، وحينما يعظم الإسلام كرامة الإنسان فإنه بذلك يدعم قيمة الحرية ويقيم بنيانها، إذ الحرية ملازمة للكرامة الإنسانية .

الدعامة الثانية: احترام الحرية الشخصية: فقد كفل الإسلام الحرية الشخصية لكل إنسان طالما أنه لا يتعدى على حرية الأخرين ومن صور الحرية الشخصية التي منحها الإسلام للإنسان: حرية العقيدة وحرية التعبير، وحرية الرأي، وحرية الكلمة، وحرية إصدار القرار، وحرية التقاضي والشكوى، وحرية التنقل، وحرية الهجرة، وحرية التصرف في الملكية الخاصة، والتأهيل الفردي، وحرية الاختيار، وغيرها من الحريات التي أقرتها الدعوة الإسلامية ونادى بها الدعاة إلى الله على بصيرة؛ إنها الحرية التي تجعل الإنسان لا يحاسب إلا على ما قدمت يداه، ولا يعاقب إلا على ما فكر ودبر، وقد تجلى كل تلك المعاني، في مصدر الدعوة الأول القرآن الكريم قال الله تعالى : فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ[14]، وقال: أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين[15]. فقد حفظ الإسلام للإنسان حرية اختياراته العقلية، حيث أقر الإسلام مبدأ الحرية في أسمى مظاهرها، وأجلى معانيها، وأعلى درجاتها يقول الله جل شأنه: ﴿لا إكْراه في الدّين ... ويؤْمنْ باللّه فقد اسْتمْسك بالْعرْوة الْوثْقى لا انْفصام لها...﴾[16]أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه، وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا[17].والحرية الشخصية سبيل مباشر لقيمة الحرية التي ينشدها الإسلام .

الدعامة الثالثة: المساواة بين الناس

المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم المختلفة وألوانهم الكثيرة ولغاتهم العديدة، مبدأ أصلي واصول رئيسي في الشريعة الإسلامية، نجد اصولها في القرآن و الحديث كثيرا كما ورد عن الرسولى الله عليه وسلم في نهي عبية الجاهلية والفخر بالقبيلة والنسب وغيرها حتى قال "...والناس بنو آدم، وآدم من تراب"[18]ومبدأ المساواة بين الناس يأتي في الحقوق والواجبات، فلم يميز الإسلام بين الناس في

حقوقهم، في شتى المجالات، ولم يعط أحدا كائنا من كان شيئا تمييزا له عن غيره من الناس إلا من خلال التقوى والإصلاح في الأرض يقول الحق جل وعلا: ﴿...إنّ أكْرمكمْ عنْد اللّه أتْقاكمْ ...﴾[19]وهذا من مميزات العقيدة الإسلامية السمحة التي لا تفرق ولا تميز بين الناس جميعا على أساس الجنس والعرق أو النسب أو اللون، على خلاف حال الثقافات السابقة من الإسلام، حيث كانت تنظر وتعد رتبته الكبيرة أو السافلة حسب نسبه أو جنسه أو لونه.إن التسوية بين الناس كلهم تراد بها التعامل المساوي بينهم الذي يقيم البناء الإنساني، ويصلح التكوين الاجتماعي، ويساعد في إعمار الأرض على رحابتها، عندئذ تكون المساواة بين الناس دعامة أساسية من دعائم الحرية كما يقرر الشرع الحنيف.

الدعامة الرابعة: دعوة العقل للقيام بدوره من البحث والنظر

شرف الله البشر بالعقل والفهم والبصيرة وذكر منزلته العالية في كتابه المرسل على نبيه الخاتم ووضح اهمية ذلك في اقواله العديدة. إذ العقل ميزة الإنسان لأنه منشأ الفكر وله القدرة على الإدراك والتدبر وتصريف الحياة، ويقوى ويصلح بالبحث والنظر والتفكر ولذلك دعا القرآن العقل إلى التأمل والتدبر والنظر، يقول الله تعالى: ﴿أولمْ يتفكّروا ...﴾[20].ويقول سبحانه: ﴿كتابٌ أنْزلْناه إليْك مباركٌ ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولو الْألْباب﴾[21] أي: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به[22]، فالعقل إنما خلقه الله للإنسان من أجل النظر والتدبر والتمييز والإحاطة بمنطق الأشياء، والإسلام "يدعو إلى التفكر وإعمال العقل للإفادة من معطيات الآيات سواء كانت من نوع الآيات الكونية المقروءة في صفحات الكون المسطور بيد الإبداع والقدرة والحكمة ، أو كانت من نوع الآيات القرآنية المتلوة في صفحات الكتاب الكريم "[23]، وهذا التفكر يرتقي بالإنسان إلى المكانة التي رفعه الله تعالى لها، لذا فـ "التفكير فريضة إسلامية"[24]، وهذا التفكر والبحث والنظر يصل بالإنسان إلى التحرر من الأوهام والأساطير كما يحرره من أي سلطان غير سلطان خالقه جل وعلا، لذا يعد من أهم دعائم الحرية.

الدعامة الخامسة: التحرر من عبادة غير الله

واجه الإسلام أولئك الذين اتخذوا أربابا من دون الله، لما تحمله هذه الطوائف من صور الظلم والتعدي على حريات الأخرين وهضم حقوقهم يقول الحق تعالى: ﴿اتّخذوا أحْبارهمْ ورهْبانهمْ أرْبابًا ...﴾[25]وذلك؛ لأن "أعظم ما دمر حرية الإنسان وأتى على بنيانها من القواعد اتخاذ بعض الناس بعضا أربابا من دون الله، ولكي يسترد الناس حريتهم وكرامتهم يجب تحطيم هؤلاء الأرباب الأدعياء والآلهة المزيفين، خصوصا في أنفس الذين توهمهم أربابا حقا وهم مخلوقون مثلهم!، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولقد وعى مشركو العرب هذه الحقيقة منذ دعا النبي ﷺ من أول يوم إلى التوحيد، وعلموا أن وراء هذه الكلمة لا إله إلا الله) انقلابا في الحياة الاجتماعية والسياسية، وأنها تؤذن بميلاد جديد للبشرية، ولا سيما الفقراء والمساكين والمسحوقين فلا غرو أن وقفوا في وجهها

وجندوا كل قواهم لحرب كل من آمن بها واستجاب لندائها "[26]. وكان ذلك خوفا منهم على مصالحهم ومنافعهم، لكن الله سبحانه ينصر الحق وأهله في كل جيل، طالما أخلصوا لدعوتهم ولربهم.

الدعامة السادسة: نشر الوعي والمعرفة بين الشعوب

نشر الوعي والمعرفة يعد من الدعائم الأصيلة للحرية وذلك لأنه حينما ينتشر الوعي بين الناس ويتعرف كل إنسان على مكانته عند خالقه وتحريره له من سلطان أقرانه وتكريمه له بالعقل ودعوته له لإعمال عقله وإعمار مجتمعه، عندئذ تكتمل عنده معاني الحرية، لذلك دعا الإسلام لنشر الوعي كما دعا إلى العلم والمعرفة في أول آيات القرآن نزولا حتى قبل بيان شريعة الإسلام، يقول الحق جل وعلا: ﴿اقْرأْ باسْم ربّك الّذي خلق﴾[27]كما أعلى مكانة العلم والمعرفة يقول: ﴿... والّذين أوتوا الْعلْم درجاتٍ ...﴾[28]ويعد التعليم للانسان المنارة المضيئة التي يسترشد ويهتدي بها الناس إلى الطريق الحق و المستقيم الذي سيسلكونه للنجاة والفوز في هذه الحياة. بالإضافة إلى ذلك أن التعليم المناسب هو سبب الصحوة والإزدهار، فالتعليم والارشاد والحكمة من الأمور الواجبة على المسلمين رجالا ونساء، يقول المولى عز وجل: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون... "[29]فالعلم ونشره سبب الدخول في الجنة حتى يسهل الله تعالى على الدارس طريق الجنة كما صرح النبيﷺ: (و من سلك طريقا، يلتمس فيه علما، سهل الله تعالى له، به طريقا إلى الجنة)[30]. فالإسلام رفع مكانة العلم والمعرفة كي تتنور العقول وتصل إلى رشدها وتتعرف على حقوقها والتي من بينها قيمة الحرية. ومن خلال هذه الدعائم يتبين أن الحرية في الإسلام من المقاصد الشرعية، والمبادئ الأساسية التي أرساها الإسلام فلا سبيل إلي حياة حقيقية بدون حرية.والحرية في الإسلام حق للفرد، وحق للمجتمع، وحق للعالم أجمع، وهي ليست حرية مطلقة، ولكنها منضبطة منظمة، بحيث لا تصطدم بحرية الآخرين، كما أنها موصولة بجملة من القيم كالعزة والكرامة، والأمن والسلامة، والمساواة والعدالة، والعفة والطهارة، وغيرها من القيم السامية، والمقاصد الحسنة التي جاء بها الإسلام الحنيف، ونادت بها الدعوة إليه في كل عصر ومصر على ألسنة الدعاة الدارسين.

مظاهر الحرية عند سيد الدعاة رسول الله ﷺ

كان للحرية المحفوفة بالرحمة عند حضرة النبي ﷺ مظاهر عديدة أذكر منها 1- أنه أختار حرية العفو عمن هم بقتله مع قدرته على الثأر ومن أمثلة ذلك موقفه ﷺ مع غورث بن الحارث،[31] وعفوه عنه بدلا من قتله، فقد كان النبي محمد ﷺنائما تحت ظل شجرة بعد رجوعه من غزوة أحد، وقد علق سيفه على غصن من أغصا نها، معلنا بذلك الأمان لمن يمر عليه ﷺ فجاءه غورث بن الحارث اليهودي فاستل سيف رسول اللهﷺ ووضعه على رقبة خاتم الأنبياء والمرسلين وصاح به قائلا : من يمنعك مني يا محمد؟ فاجاب النبي ﷺ : (الله). فسقط السيف من يده، فبد ر الرسول ﷺ إلى السيف وأخذه ورفعه على غورث قائلا له :(يا غورث من يمنعك مني الآن ؟) فقال : عفو ك، كن خير آخذ .... فتركه

النبي ﷺ، وعفا عنه.[32] . فحرية العفو عند ﷺ كانت أحب إليه من العقوبة، وهذا أمر لابد أن يتعلمه الداعية ويطبقه في مجال التبليغ عن الله تعالى، وينادي به المدعوين، أن يعملوا به كدرس من دروس حرية العفو عند المقدرة، أسوة برسول الله محمد ﷺ. 2- حرية اختيار العفو عمن أساء الأدب في معاملته بدلا من المعاملة بالمثل في العديد من المواقف ومن أمثلة ذلك عفوه عن الأعرابي رغم سوء أدبه وجفاء معاملته مع سيد الرسل، وخاتم الأنبياء والمرسلين، كما نجد في مفهوم الحديث ان الرسول ﷺ كان موجودا في المجسد فحبذ الرجل من حلفه بردائه الخاشن حتى حمرت رقبة النبي ﷺ وشد على قوله وفعله على نبينا الكريم الرحيم لما التفت صحابته الى ذلك الاعرابي فمنعهم:"فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم: (يا فلان، احمل له على بعير شعيرا، وعلى بعير تمرا) ثم قال رسول الله ﷺ: (انصرفوا).[33] " 3- ومن أبرز وأعظم مظاهر الحرية عند النبي ﷺ، اختياره العفو عمن أذوه وهو ما حدث يوم فتح مكة من عفوه ﷺ وكرمه، وحلمه مع الذين ناصبوه العداء من أهل الشرك، والجحود، والفساد والقسوة والغلظة، وقتلوا أصحابه، وأنصاره، وأقرباءه، في مكة المكرمة قبل الهجرة وأخرجوه من بلده، وعذبوه، وعذبوا أصحابه، فجاءهم النبي ﷺ فاتحا مكة منتصرا عليهم...فأمر عليؓ بحمل الراية، وأن ينزل مكة بهدوء و رفق، وأن ينادي في أهل مكة: اليوم يوم المرحمة .. اليوم تصان فيه الحرمة، ثم جمع أهل مكة، فنادي فيهم يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟) قال القريش: خيرا ، أخ كريم، و ابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.[34]فعندما تمكن منهم النبي ﷺ عفا عنهم جميعا، فاختار ﷺ حرية العفو، كمبدأ من مبادئ الإسلام بدلا من الانتقام والعقوبة، وحتى تنطلق الدعوة الإسلامية منطلقة ساعية، إلى المدعوين على مبادئ حرية العفو من الدين.

مظاهر الحرية عند الصحابة الكرامؓ:

لقد ربى النبي ﷺ الصحابةؓ على أعلى درجات الحرية وأسمى معانيها وأبلغ غاياتها، فلم تكن الحرية في حياة الصحابة شعارا أجوفا؛ بل كانت سلوكا قيما وخلقا طيبا، ودينا إلهيا ساميا، ومنهج حياة، ترجموه إلى واقع فعلي، وحياة عملية بفضل تأثير النبي ﷺ فيهم. فهذا الصحابي الجليل أبو بكر الصديقؓ أنفق الكثير من ماله؛ من أجل أن يهب الحرية للضعفاء، والمساكين والفقراء، والمستضعفين أمثال بلال بن رباح الحبشيؓ ؛ فقد ذهب أبو بكر الصديقؓ إلى أمية بن خلف وصاح في وجهه : "[35]فهذه هي حرية العفو التي أطلق الإسلام عنانها، ونادت بها الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان.وهذا عمر بن الخطابؓ الذي ثار غضبا، حين هتك عبد الله بن عمرو بن العاص حرية غلام من الأقباط، فانتصر عمر بن الخطابؓ للقبطي على ابن حاكم مصر آنذاك، فقال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص: "مذ كم تعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ "[36] . إنها حرية العدل، والمساواة على أرض الوطن، مهما كانت الديانة، أو الوظيفة، أو ضعف المسئولية، إنها حرية الرأي وحرية القرار، التي

لا تنحاز إلى مذهب، أو طائفة، أو عقيدة، أنها حرية المروءة التي تأخذ بأيدي أبناء الأوطان، لتحلق بها على سموات الوطن؛ لينجوا المواطنون بهذا المبدأ الديني الرشيد، بصرف النظر عن الجنس، أو اللون أو الدين .وهذا عثمان بن عفان﵁ يضرب أروع الأمثلة في الحرية، حيث ظهور الأحزاب السياسية، المعارضة في عصره﵁ ومعارضة غير مشروعة، لتجاوزها حدود الحرية، وعدم التزام المعارضة بضوابط الحرية السياسية، فأحدثوا فتنة، وقتلوا خليفة المسلمين.[37] وهذا علي بن أبي طالب﵁ يضع للحرية مفهوما عميقا وواسعا وشاملا حينما قال قولته المشهورة "وأكرم نفسك عن كل دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لا تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا." [38]. وقد نادت الدعوة الإسلامية إلى هذا المفهوم في كل مراحلها بما يرضي الله تبارك وتعالى.

الحرية وتوظيف الطاقات .

بالحرية تتذلل الصعاب "فحين تضيء شموس الحرية، وتضرب بأشعتها في كل واد فإن البشر تتسع آمالهم، وتكبر هممهم، وتتربى في نفوسهم ملكة الاقتدار على الأعمال الجليلة، فتتفتق القرائح فهما، وترتوي العقول علما، وتأخذ الأنظار؛ فسحة ترمى فيها إلى غايات بعيدة فتصبح الإمكانات طوع اليد، والطاقات طوع الفكر والمصير طوع الإرادة، ويكون التخطيط طريق المجتمع في شتى مجالات المعارف والعلوم والفنون، والتجارة والمال ابتغاء ترقية ملكاتهم، وتحقيق طموحاتهم ... بينما غياب هذه الحقوق، والقيم يؤدى إلى أن تذبل الملكات؛ ذلك أن الإكراه والقهر والضيق بالخلاف، ورفض سنة التعدد، وحقوق الآخر في الاختلاف؛ يجمد حركة الحياة فتأسن وتتحجر، فيغدو الفضاء الاجتماعي طاردا للطاقات، يضيق ذرعا بالإبداع والمبدعين"[39].وهذا ما لا يوافق حركة الدعوة الإسلامية قولا، وفعلا، وينأى عنه دعاتها، ويحذرون المدعو منه في كل عصر ومصر، وذلك؛ لأن الحرية من متطلبات التطور، والتقدم، والرقي، الذي هو من سمات الدعوة الإسلامية، وخصائصها، ومن أهم ما تدعو إليه. والحرية: محرك رئيسي في تحقيق شيئين أساسي في تحقيق أمرين: **ا:** رفع القدرات العقلية الضرورية للمعرفة والعلم.**ب:** إطلاق الإرادات العازمة اللازمة لمناصرة الحق، والتقدم، ومناهضة الباطل والتخلّف. وحين تختفي الحرية تتعطّل القدرات العقلية، وتتقلص الإرادات العازمة، وتتوقف الأمة عن الإبداع، والإنجاز، وتسير في طريق الضعف المفضي إلى الاستضعاف في الدنيا، والعقوبة في الآخرة.[40]ولذلك، فالحرية قرينة الإبداع، فبين الإبداع، والحرية تلازم، وترابط يجعلهما وجهين لعملة واحدة، فلا معنى للحرية إن لم تؤد إلى إبداع له قيمة، ويفضى إلى مزيد من الحرية." وقد بينت الدراسات العلمية أن الحرية تقد من القيم الريئسية التي تعمل بمثابة إطار مرجعي، ينظم سلوك المبدعين، ويحركه"[41] .والحرية المنضبطة بالضوابط الشرعية، لا يمكن أن تصطدم مع أصول الدين، وثوابته، أما الحريات التي كثيرا ما تصطدم مع أصول الدين الحنيف وشريعته، والتي قد تصل إلى حد "التطاول على الأنبياء، والسخرية من الملائكة وافتراء الكذب على الله،

دون رادع فهذه ليست حرية، وكذلك الأدب الإباحي والصور والمجلات الخليعة، والأفلام الماجنة، والمسرحيات الهزلية العابثة التي تخدش الحياء وتثير الغرائز، وتهدم صروح الأخلاق، وتحطم المثل في المجتمعات، وكذلك الرسوم والتصاوير التي تسيء للأنبياء، باسم حرية الفن، والإبداع، هذا مرفوض جملة وتفصيلا؛ فمن حق الإنسان أن يفكر، وأن يعبر، وأن يبدع، ويبتكر، ويخترع؛ ولكن دون أن يتجاوز هذا إلى الطعن في الدين، أو الإغراق في الأوهام، والخيالات، بحجة أنه حر في تفكيره، ومنطقه، وفي إبداعه؛ فالحرية لا تعني الطعن، والتشكيك في ثوابت الدين، أو الهجوم الضاري على القيم الإسلامية باسم حرية الفكر، والإبداع، أو السخرية، والاستهزاء بالدين، بدعوى التلهي، والتسلي، والرفاهية، وبغرض التشكيك وتثبيط الهمم"[42] ، قال تعالى: ﴿...قل اسْتَهْزِئوا إنّ اللّه مخْرِجٌ ما تحْذرون...﴾ [43]فالحرية تعني تحمل المسئولية وعلى قدر تحمل المسئولية تكون الحرية، كما تقتضي الانضباط في قوله وفعله وإلا استحالت الأمور إلى عبث و فوضي.ومن أكثر الجوانب المعارضة للإبداع شيوع قيم لا تتطابق مع حرية البحث والتعبير والإبداع.[44]لذا فإنه لا يتصور ولا يفهم معنى الحرية حقيقة، إلا في نطاق من بعض الاسس و الضوابط التي تضبطها فلا تتغير إلى فوضى مهلكة، تأتي عليها هي ذاتها بالإبطال. ولذلك قال الإمام محمد أبو زهرة عن حقيقة الحرية: إنها" تتكون من حقيقتين:**إحداهما** الغلبة على النفس وخضوعه لأمر العقل لا خضوعه لحكم النفس والهوى.

والثانية الإشعار اللطيف والدقيق بحقوق الناس عليهم، وإلا كانت الأنانية المحضة والحرية نقيضة الانانية واللتان لا تجتمعان[45].وهذا رأي بطل من أبطال الدعوة الإسلامية الذي كان دائما ينادي به في النصف الثاني من القرن العشرين. فالإسلام لم يثبت الحرية لفرد من الافراد على حساب الجماعة، ولم يقرها للجماعة من الجماعات على حساب الفرد ايضا، ولكنه وازن بينهما، فأعطى كل ذي حق حقه، ولذلك فملكات الابتكار، والإبداع، والاختراع، والاكتشاف لا تنمو في غير جو الحرية.

الحرية والعمل الدعوي

الحرية من خصائص الدعوة، ومن مميزاتها فلم يوجد في الدنيا مذهب، ولا نظام، ولا دعوة حررت الإنسان مثل ما نادى به الإسلام من تحقيق للحريات الهادفة.

وقد شملت الحرية في منهج الدعوة الإسلامية ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول تحرير العقل من الضلالات، والتقاليد الباطلة وفق ما نادي به الإسلام؛ الذي حرر الإنسان من عبادة الأوثان، والأصنام التي لا تنفع لاحد ، ولا تضر ولا تمنع ولا تعطي، كما حرره مما كان عليه الآباء والأسلاف من العقيدة الباطلة والتفكير الضال، والذي هو من مخلفات الجاهلية الأولى[46]، وبذلك، فقد حرر الإسلام الناس من تأليه الأصنام، والأحجار، ووجههم إلى عبادة الله الواحد القهار.

الاتجاه الثاني:جاء الإسلام بمبادئه التي تحرر الضعيف من القوي وجبروته، فقد كان العرب، وغيرهم من الأمم يحرمون من الميراث الضعيفين: المرأة، والأولاد الذكور الصغار، كما كانوا لا يورثون الزوجة،

بل كانوا يعتبرونها نفسها من جملة ما تركه الزوج من متاع، ولهذا أعجبوا أشد العجب عندما جعل القرآن الكريم لكل هذه الأصناف: الزوج، والبنت، والصغار من البنين نصيبا مفروضا، في الميراث، ولكن الإسلام اعتني بإبطال ما كان عليه العرب في هذا الاتجاه.

الاتجاه الثالث: قرر الإسلام حرية الفكر، والرأي والإرادة، والعمل ما دام هذا لا يضر بالغير، ولا بالصالح العام، ولا بالعقيدة، ولهذا نجد الإسلام نعي بشدة على من يتبع هواه، فيميل إليه، ويجعل شهواته تسيطر على عقله، ويحذر من سوء العاقبة[47]. فيقول: ﴿....من اتّخذ إلهه هواه وأضلّه اللّه على علْمٍ ....﴾ [48]وبهذا يظهر بجلاء، ووضوح مدى احترام الإسلام للإنسان، ورعايته للحرية، ولذا فهو بحق دين الحرية والمساواة، "ولأجل أن تتضح ضرورة الحرية للناس بين الله من أول ظهور الدعوة حقيقة الرسول محمد ﷺ، وحدود دوره. فهو بشر من الناس يتصف إلا أنه قد أوحي إليه؛ لأنه رسول رب العالمين إلى يوم الدين، وقد عصمه الله من الخطأ، واختاره للرسالة قال تعالى: ﴿يا أيّها الرّسول بلّغْ ما أنْزل إليْك منْ ربّك وإنْ لمْ تفْعلْ فما بلّغْت رسالته واللّه يعْصمك من النّاس إنّ اللّه لا يهْدي الْقوْم الْكافرين﴾ [49] وحتى يتضح مفهوم الحرية فقد كان النبيﷺ يسمح لغير المؤمنين بالمناقشة في أصول العقائد، ويطالبهم بالبرهان؛ لأن المسألة تتوقف دائما على الدليل البين المؤدي إلى الإقناع، وقد علم الله رسولهﷺ هذا الطريق فحينما ذكر أهل الكتاب أحلامهم كما سجل القرآن الكريم حكاية عن أمانيهم قال الله تعالى:﴿وقالوا لنْ يدْخل الْجنّة إلّا منْ كان هودًا أوْ نصارى تلْك أمانيّهمْ قلْ هاتوا برْهانكمْ إنْ كنْتمْ صادقين﴾[50]ومع ظهور هذا الرأي طالبهم النبيﷺ بالدليل، كما أثبت ذلك القرآن الكريم حكاية عن ذلك قال الله تعالى:﴿قلْ هاتوا برْهانكمْ إنْ كنْتمْ صادقين﴾وهكذا آمنت الدعوة الإسلامية بالحرية، وضرورتها للإيمان الصحيح،[51] ولذلك: فالحرية أمر مطلوب للداعية إلى الله تعالى على بصيرة، فهو الذي يحمل لواء هذا الدين، ولواء الدعوة إليه وهو الذي يرفع راية الإسلام عالية خفاقة .... فالحقيقة والواقع، لو تمتع كل داعية بالحرية، فيما يقول، وفيما ينادي " لرهف حسه، ورقت مشاعره، وانطلق لسانه وأبدع بيانه؛ لأنه على قدر حرية الإنسان يعلو البيان ويفصح اللسان، وشتان بين صوت الطيور مأسورة في أقفاصها وصوتها وهى حرة على أغصانها"[52] .

الخاتمة

أحمد الله تعالي وأشكره على ما من الله به علي من إتمام هذا البحث الذي بذلت فيه ما وسعني من قوة، وجهد غير مفرط، ولا مضيع وبعد تلك الرحلة الشيقة نجمل نتائج هذه الدراسة، وأبرز التوصيات وذلك على النحو التالي :جاء الإسلام بتحرر الإنسان من عبادة الأشجار والأحجار والنيران وغيرها من المخلوقات إلى العبودية الخالصة لله رب العالمين.الحرية في الإسلام من المقاصد الشرعية، والمبادئ الأساسية التي أرساها الإسلام.الحرية في الإسلام حق للفرد وحق للمجتمع، وحق للعالم، وهي ليست حرية مطلقة ولكنها منضبطة بضوابط الشرع .إن الإسلام في تشريعاته أرسى دعائم الحرية

ومبادئها، فقد حرر الإنسان من أسر الشهوات، ومن أغلال الجاهليات وغيرها . نشأ سيدنا رسول ﷺعلى الحرية، في أسمى معانيها، وأفضل مظاهرها كما ورد ذلك في سنته ﷺ . لقد ربى النبي ﷺ الصحابةرضي الله عنهم على أعلى درجات الحرية وأسمى معانيها وأبلغ غاياتها، فلم تكن الحرية في حياة الصحابة شعارا أجوفا؛ بل كانت سلوكا قيما وخلقا طيبا، ودينا إلهيا ساميا، ومنهج حياة، ترجموه إلى واقع فعلي، وحياة عملية بفضل تأثير النبي ﷺ فيهم.الحرية من متطلبات التطور، والتقدم، والرقي، الذي هو من سمات الدعوة الإسلامية وخصائصها، ومن أهم ما تدعو إليه.الحرية المنضبطة بالضوابط الشرعية، لا يمكن أن تصطدم مع أصول الدين، وثوابته آمنت الدعوة الإسلامية بالحرية، وضرورتها للإيمان الصحيح، ولذلك: فالحرية أمر مطلوب للداعية إلى الله تعالى على بصيرة .أوصي بعمل رسالة علمية عن الحرية في القرآن الكريم حيث يتتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الحريات. أوصي بعمل دراسة عن منهج القرآن في مواجهة الاستبداد. أوصي بعمل دراسة عن العناية إنصاف القرآن للمرأة وتكريمها.

References

1Al-Fuṣṣilāt 41:38.
2Al-Taowba 09:31.
3Al-'Imrān 03:14-15.
4Dr. Muḥammad al-Mubārik, *Naḥw Insāniyya Sa'īda* (Beirūt: Dār al-Fikr, 1389), 55.
5Dr. Yūsuf Qurḍāvī, *Malāmiḥ al-Mujtama' al-Muslim al-Ladhī Nanshudo* (Cairo, Maktabah Wahba, 2001), 135.
6Abū Manṣūr Muḥammad Ibn Aḥmad al-Azharī, *Tahdhīb al-Lugha*, ed. Muḥammad 'Awḍ Mar'ab (Beirūt: Dār Aḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 2001), 3:277.
7Abū Naṣar Ismā'īl Ibn Ḥammād al-Fārābī al-Jawharī, *Al-Ṣiḥāḥ Tāj al-Lugha wa Ṣiḥāḥ al-'Arabiya,* ed: Aḥmad 'Abd al-Ghafūr 'Aṭṭār (Beirut, Dār al-'Ilm Malāyīn, 1307), 628.
8Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Qushaiiyrī, *Al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ al-Muslim* (Beirūt: Dār al-'Ilm Malāyīn, 1307), Ḥadīth no: 1714, 3:1338.
9Raḥīl Muḥammad Ghrābiyah, *Al-Ḥuqūq wa al-Ḥurriyāt al-Siyāsiya Fī al-Sharī'a al-Islāmiya* (Jordan: Dār al-Munār Nashr wa al-Taowzī', 1421), 41.
10Al-Isrā' 17:70.
11Al-Baqara 2:255.
12Aḥmad Ghalūsh, *Al-Sīra al-Nabaviyya wa al-Da'wa fī Al-'Ahd al-Makkī* (Al-Risālah Foundation, 2003), 492.
13Al-Qushaiyrī, Al-Ṣaḥīḥ al- Muslim, 2564.
14Al-Ghāshiya 88:21-22.
15Al-Yūnus 10:99.
16Al-Baqara 02:255.
17 Abū al-Fidā Ismā'īl Ibn 'Umar Ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī al-Kathīr al-Dimashqī, *Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm*, ed: Sāmī Ibn Muḥammad Salāma (Dār al-Tayyaba 1420), 1:521.
18Imām Aḥmad Ibn Ḥanbal, *Al-Musnad* (Dār al-Kutub, 1420), Ḥadīth no: 8735, 14:349.
19Al-Ḥujurāt 49:13.
20Al-Rūm 30:08.

21Al-Ṣad 38:29.
22Muḥammad Ibn Jarīr al-Ṭabarī, *Jāmi' al-Bayān Fī Ta'wīl al-Qur'ān*, ed. Aḥmad Muḥammad Shākir (Al-Risālah Foundation, 2000), 21:190.
23Dr. 'Abd al-Ḥamīd Hindāwī, (Dār al-Āfāq, 2006), 136.
24'Abbās Maḥmūd *Al-'Aqqād al-Takfīr Farīdha Islāmiya* (Egypt, Dār Nahḍa, 2007), 1.
25Al-Taowba 09:31.
26Ghrābiyah, *Al-Ḥuqūq wa al-Ḥurriyāt al-Siyāsiya Fī al-Sharī'a al-Islāmiya* (Jordan, Dār al-Munār Nashr al-Taowzī', 1421), 41.
27Al-'Alaq 96:01
28Al-Mujādala 58:11.
29Al-Zumar 39:09
30Al-Qushaiyrī, *Al- Jami' al-Ṣaḥīḥ: "Kitāb al-Dhikr wa al-Du'ā wa al-Tawba wa al-Istaghfār"*, Ḥadīth no: 2699.
31Abū al-Faḍl Aḥmad Ibn 'Alī Ibn Muḥammad Ibn Aḥmad Ibn Ḥajar al-'Asqalānī *Al-Jarḥ wa al-Ta'dīl*, ed. Muḥammad 'Alī al-Najjār (Beirūt: Maktabah al-'Ilmiyya), 3:1052.
32Ibn Ḥanbal, *Al-Musnad*, (Dār al-Kutub, 1420), Ḥadīth no: 14929, 12:93.
33Aḥmad Ibn Shu'ayb al-Nasā'ī, *Al-Sunan*, Ḥadīth no: 4776, 8:33.
34'Abd al-Malik Hishām Ibn Ayyūb al-Ḥumayrī al-Ma'āfarī, *Al-Sīra al-Nabawiyya*, ed. Muṣṭafā al-Saqqāh, (Egypt: Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1955), 2:412.
36Muḥammad Yūsuf Ibn Muḥammad Ilyās Ibn Muḥammad Ismā'īl, *Al-Kandhalwī Ḥayāt al-Ṣaḥāba* (Beirūt: Al-Risālah Foundation, 1999), 1:347.
36Abū al-Qāsim 'Abd al-Raḥmān Ibn 'Abd Allāh Ibn 'Abd al-Ḥakam al-Miṣrī, *Futūḥ Miṣr wa al-Maghrib* (Maktaba al-Thaqāfa 1415), 195.
37Ibn Ḥanbal, *Al-Musnad* (Dār al-Kutub, 1420), Ḥadīth no: 8735, 14:349.
38Jār Allāh al-Zamakhsharī, *Rabī' al-Abrār wa Nuṣūṣ al-Akhyār* (Beirūt: Mu'assasa al-A'lamī, 1412), 1:338.
39Dr. Badarī Muḥammad, *Naḥw Mujtamī' al-Ḥurriyya* (Dār al-Ṣafwa, 1431), 16.
40Dr. Ahdāf Arsān Mājid al-Kīlānī al-Urdanī *Al-Tarbiyya al-Islāmiyya* (Beirūt: Dār al-Qalam), 244-245.
41'Abd al-Sattār Ibrāhīm, *Āfāq Jadīda fī Darāsa al-Ibdā' wa Kālah* (Kuwait Publications, 1978), 208.
42Dr. Aḥmad Muḥammad Sālim al-Sharqāwī, *Taqwīm al-Fahm al-Khāṭi' lil-Hurriyya wa al-Musāwat fī Ḍaw' al-Qur'ān al-Karīm* (2016 AD), 6-7.
43Al-Taowba 09:64-66.
44'Abd al-Ḥamīd Ṣanūra Misrī, *Al-Ibdā' wa Tammītah min Manẓūr Takāmilī* (Cairo: Maktabah al-Anjalū, 2003), 140.
45Muḥammad Abū Zuhra al-Shaykh, *Muḥāḍarāt fī al-Mujtamī' al-Islāmī* (Cairo: Dār al-Fikr al-'Arabī), 18.
46Muḥammad Yūsuf Mūsā, *Islām wa Ḥājat al-Insān Ilayh*, (Egypt: Al-Majlis al-A'lā Shu'ūn al-Islāmiyya, 2011), 46.
47*Uṣūl al-Da'wa, li-Janna min Qism al-Da'wa wa al-Thaqāfa al-Islāmiyya*, (Cairo, 111), 113.
48Al-Jāthiya 45:23.
49Al-Mā'ida 06:67.
50Al-Baqara 02:111.
51Aḥmad Ghalūsh, *Al-Da'wa al-Islāmiyya Uṣūlihā wa Wasā'ilihā*, (Cairo: Dār al-Kitāb, 1987), 260-261.
52Dr. Aḥmad Dahshān, *Darāsāt fī al-Khaṭba wa al-Khaṭīb*, 94.